آخر الآلهة الحيّة

●● إذا كان فى العالم إنسان يعبده الإنسان فهو هذا الرجل.. أما لماذا يعبده مئات الألوف من الناس فهى أسطورة قديمة.. ولكن هذا «الإنسان الإله» أكثر واقعية من كل الذين يمسحون عيونهم فى قدميه..

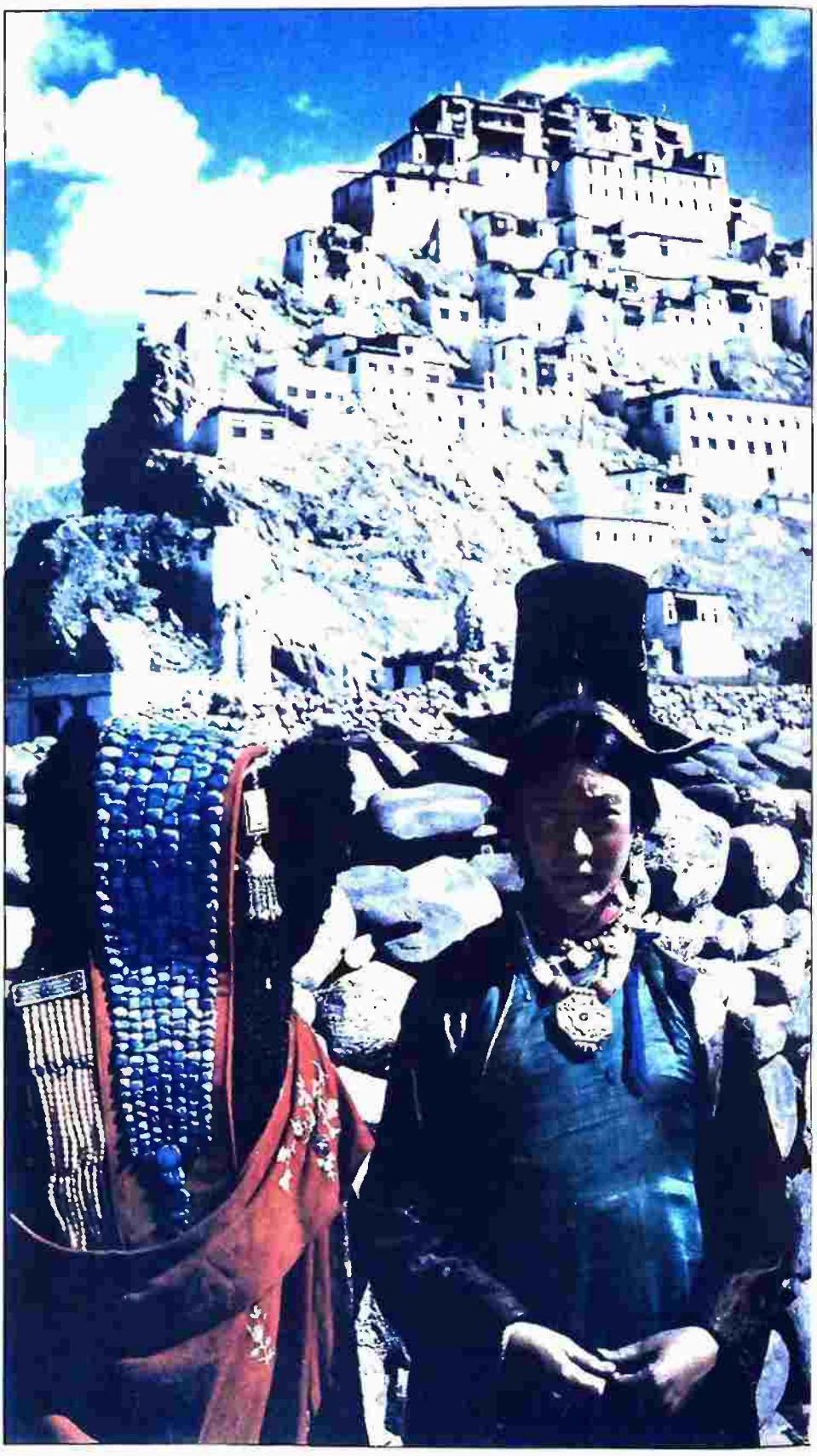

أسيمة حسن جانو

وجد الرهبان حسب اشارة الآلهة - كما تروى الأسطورة يقرأ الصلوات وعمره ستان بعد أن مات سلفه دالاى لاما الثالث عشر الأب الروحى للتبيت.. وحين دخلت القوات الصينية بلاده. وكان فى السادسة عشرة من عمره هرب حتى الحدود الهندية فى ممرات جبلية تعلو ٥٠٠٠ م وسط الثلوج ومعه مئات الآلاف من أتباعه.

استقر فى دير بعيد عن العمران وسط الجبال الثلجية فى مسكن متواضع يحتوى على سرير من الخشب العادى تغطيه ستارة من القطن ويقوم على حراسته الكثير من الشرطة والجنود والحرس.

■ إنه يمثل الإلهُ الملك والراهب الأكبر فى شخص واحد. إنه «الملك الإلهُ» الدالاى لاما الرابع عشر.

فى غابه رائعة نقية الهواء ونظرة إلى الثلوج الراقدة فوق قمم الهيمالايا يعيش ولا يستطيع أن يغادر المكان حسب إرادة «البيرونوكول» أو الحكومة الهندية. فهى تدفع له ٢٠ روبية كل يوم، كما تقوم بدفع تكاليف الحرس الخاص به والطريف أن حراسا هنودا يقومون على حراسة «حراسه» الأصليين من بلاد التبيت.

يقع الدير فى منطقة درمسالا التى ترتفع ١٨٠٠ م عن البحر. إنه يجلس هنا بقدسيته محاطا «بوزرائه» للنظام الداخلى والدين والمالية والتربية والاقتصاد. إنه برداته الأحمر يشكل اللون الوحيد وسط المجموعة الرمادية المحيطة به.

إنه يتحدث عن آلام وأفراح العالم. يتكلم بصوت هادىء منغم النبرات وتساعده سبابته فى إعطاء الكلمة المناسبة أهميتها ثم يضحك ويبتسم الحرس والوزراء - وهذا بخلاف التقاليد الموروثة. فقد كان الحاضرون لا يجرؤون على رفع نظرهم الى وجه «الملك الإلهُ» إلا أن للدالاى لاما مهابته ايضا. فما يزال الوزراء يرمون أنفسهم على قدميه عند تحيته.

■ ان الدالاى لاما الذى يبلغ من العمر واحدا وأربعين عاما يصرح بأنه يفضل أن يقرأ وينعلم الحكمة عن أن يشتغل بالأمور اليومية وهذا ما دعاه للتصريح الخطير «انه سيكون آخر دالاى لاما» إنه لا يعتبر هذا «استقالة» ولكنه ينظر الى المستقبل بموضوعية.

◀ سيدة من أهالى التيبت الهاربين. تحظاء الرأس بمثل الطبقة التى تنتمى إليها هذه السيدة.

إنه لا يتكلم اليوم إلا من رافعه . واقع المنفى . لكنه يحس بالألم والحزن . فبعد أن بلغت الضحايا ٨٧ ألفا فى غرب التيبت وحدها فى النضال ضد الصينيين ، ورغم المعاناة نسى العالم كله اليوم الدالاى لاما . إنه ما زال يحلم بتفاؤل شديد بالعودة إلى التيبت . إن العودة هى حلم حياته الأكبر لينقذ شعبه المسكين .

إنه يحتاج « للدعاية » حتى الدالاى لاما يحتاج للدعاية ، لهذا ترك نفسه للمصورين ليعيد للعالم صورة شعب التيبت والدالاى لاما بكل أوضاعه وفى كل مكان ، وهو يطعم طيوره وهو يرعى أرنبه الأبيض ، وهو يرجو زواره ألا يدوسوا الزرع البكر حيث بذور التيولب ، وهو يصلح الساعات ، وهو يأكل ويقرأ ، ومع والدته التى لا يستطيع أن يراها حسب الطقوس البوذية إلا مرة فى العام .

لكن ثورة عارمة اجتاحته حين طلب إليه تصوير كف يده . « أمن أجل أن يعرفوا من خطوط يدى إلى أى مدى سأعيش ؟ » وأقفل كفيه بسرعه وعنف . إنه لا يثق بأحد وانعدام الثقة يتزايد يوما بعد يوم .

■ إن سكان التيبت يحاولون اليوم معايشة « القرن العشرين » فقد أطلقوا على الراديو اسم « الصوت الذى يأتى مع الرياح » وأوجدوا آلة كاتبة بحروفهم ولا يزال عندهم الأمل الكبير فى العودة إلى بلادهم ! ●

١ ـ الدير الذى يقيم فيه الدالاى لاما من الخارج

٢ الدالاى لاما فى سريره الخشبى . يفرش فوقه ستارا أخضر من قماش عادى . هذا السرير لا يعكس الأبهة التى يعيش فيها الدالاى لاما ولا بد أن لذلك حكمة .

٣ بعض النقوش الكتابية على الطبول .